

كيف نتواصى فيما بيننا

الشيخ محمد صالح المنجد

عناصر الخطبة:

1. بقاء الدين والمجتمعات بقاء الوصية بين الناس.
2. وصايا ذكرها القرآن وصية لقمان لابنه.
3. الوصية منهج القرآن.
4. من وصايا النبي لأصحابه.
5. الدين النصيحة ومسيب حاجة الناس إليها.
6. من وصايا السلف لبعضهم.
7. الوصية قد تغير مسار الحياة ونماذج من ذلك.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بقاء الدين والمجتمعات بقاء الوصية بين الناس

عباد الله

لقد مدح الله -عز وجل- المتواصين بالحق والصبر والمرحمة فقال سبحانه: **{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}** [الب:17]، وقال: **{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [العصر:1-3].

وسنة التواصي سنة إلهية نبوية، أوصانا الله بوصايا، وأوصانا نبيه -صلى الله عليه وسلم- بوصايا، وأمرنا تعالى أن نتواصى فيما بيننا، وأوصانا نبينا -صلى الله عليه وسلم- بالتواصي كذلك.

الوصية: عهد وكلام وأمانة يفارق عليها الإنسان من أوصاه، الوصية كلام مهم **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [العصر:3]، يضيع الحق لو لم يحصل التواصي به، التواصي بالحق من أسباب حفظ الحق، أن يبقى الحق معروفاً بيننا، متناقلاً بين الأب وأولاده، والأخ وإخوانه، والإمام ومن يصلي وراءه، والمسلمين عموماً عندما تكون سنة التواصي بينهم قائمة يبقى الحق معروفاً وإلا ضاع، والتمسك بالحق لا يمكن إلا بصبر؛ لأن الحق صعب، وهناك تحديات؛ لأن التمسك بالحق فيه معاناة، وخصوصاً في أزمان الفتنة، فلا

بد من صبر على التمسك؛ حتى لا يبقى مجرد علم غير معمول به، ولذلك قال: **{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}**، الصبر على طاعة الله، الصبر عن معصية الله، الصبر على أقدار الله المؤلمة، ثم التواصي بالمرحمة، المرحة أن يرحم الناس بعضهم بعضاً، يلين بعضهم لبعض، يعطف بعضهم على بعض، وبهذه الثلاثة يكمل دين الناس، التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة.

ثم إننا نجد يا عباد الله في كتاب الله - عز وجل - أنواعاً من الوصايا، الإنسان ضعيف، يتزلق، وينحرف، ويذنب، ويعصي، ويخالف، الوصية ترد إلى الحق، بل تمنعه من الوقوع في الذنب أصلاً، وعندما يقوم المجتمع كله بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، يواصلون سيرهم على هذا الحق، ويتواصون بالمرحمة، فيصبحون كالجسد الواحد، فيكتمل بنيان المجتمع.

وصايا ذكرها القرآن وصية لقمان لابنه

من الوصايا التي ذكرها لنا ربنا في كتابه: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [لقمان:13]، وهناك في الأرض اليوم شرك كثير، شرك في أضرحة وقبور وأموات وأحياء، شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي، ما لي إلا الله وأنت، لولا الله وفلان، بفضل الله وفضلك، كثير في كلام الناس، الحلف بالأمانة، بحياة أبيه، بشرفه، ونحو ذلك.

الشرك درجات **{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ}** [لقمان:13] لا شرك أكبر ولا أصغر ولا خفي، **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [لقمان:13]، ثم زرع الخوف في نفس الولد من الله **{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ}** [لقمان:16]، ستنهدب منه إلى أين؟ هل يمكن أن تعصيه في مكان لا يراك فيه؟ **{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}** [لقمان:16]، بعد زرع التوحيد في نفس الولد الوصية بالعبادات، لما بنيت قاعدة الإيمان تؤسس عليها الآن الأعمال، **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ}** [لقمان:17] إقامة الطهور والأركان والواجبات والشروط مع الأخذ بالسنن **{أَقِمِ الصَّلَاةَ}**، ولا بد من نشر الدعوة، ولا يقال: هذا ولد صغير غير مسؤول عن دعوة الناس، كل واحد مسؤول حتى الصغير، لماذا لا ينصح الصغير؟ بل قد تكون نصيحة الصغير أحياناً أبلغ من نصيحة الكبير، ثم هبئة الولد للمستقبل مهمة، وإعطاؤه الوظائف، **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ}** [لقمان:17] وحيث أن هذا ثقيل، وفيه مصادمة لأهواء الآخرين **{وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}** [لقمان:17] ثم بين له أصول التعامل مع الآخرين؛ لأن الأخلاق مهمة جداً، ليست الأخلاق كل شيء، التوحيد والصلاة أهم، لكن بدون أخلاق كيف يعيش الإنسان؟ نافرماً منفراً، ولذلك ثلث بالأخلاق أو ربّع بها بعد التوحيد والإيمان والنهي عن الشرك، وبعد إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاءت قضية الأخلاق، **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}** [لقمان:18] لا كبر، **{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** * **وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** [لقمان:18-19]، فهذا أنكر الأصوات قاطبة مهما حاول علماء الحيوان أن يأتوا بصوت أقيح من صوت الحمار فلن يستطيعوا، **{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**، فذكر له أصول الحكمة وقواعدها الكبار.

الوصية منهج القرآن

الوصية منهج قرآني، {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} [الشورى: من الآية13]، ربنا - عز وجل - وصى أنبياءه، {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: من الآية13]، استقيموا على التوحيد، ولا تتفرقوا في سبل الشرك، استقيموا على السنة ولا تتفرقوا في طرائق البدعة، {أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: من الآية13]، وهكذا قال سبحانه أيضاً: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: من الآية131] فهذه وصية الله للأوليين والآخرين والمتقدمين والمتأخرين تقوى الله.

وكذلك وصانا ربنا بالوالدين {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الاحقاف: من الآية15]، وإذا قلت: ما هي آيات الوصايا العشر فإنها المذكورة في سورة الأنعام، {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} [الأنعام:151]، وما أكثر الوقوع في الفواحش في هذا الزمان؛ لأن الدعاية لها صارت في الجولات، ومواقع الشبكات، وأفلام الشاشات، ودخلت من كل طريق، الترويج والدعاية والدعوة للفواحش، ما قال الله لنا فقط لا تفعلوا في الفواحش، قال: {لَا تَقْرَبُوا}، معناها كل ما يقرب إلى الفواحش من نظرة من مقطع إباحي، لا تقربوا ذلك، {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام:151]، هناك أشياء ظاهرة وأشياء خفية، {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، تكملة الوصايا {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام:152] تسميه، تحفظه، تتاجر به في غير مخاطرة بالغة، {حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [الأنعام:152]، بين قريب وبعيد لا بد أن تعدل، ولا يجعلنك القرب تجحف، {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام: من الآية152] مرة أخرى أعادها {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام:152-153] مرة ثالثة {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، هذه الوصايا الجامعة لأبواب الخير، الموصدة لأبواب الشر، التي فيها أصول التوحيد والعبادة والفضائل والأخلاق، وهكذا كمال الدين، لا يوجد نظام آخر لا في الشرق ولا في الغرب فيه هذا التكامل، ولا هذه المزايا، ولا هذه الفضائل والمحاسن، الأنبياء يوصي الآباء منهم الأبناء، {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ} [البقرة:132] هذا التوحيد والإسلام العام، {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة:132] مخلصون لله، لا شرك لا رياء، مخلصون مسلمون مستسلمون، لا اعتراض، لا خروج، ولا حيدة، وهكذا.

من وصايا النبي لأصحابه

وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه نجدها يقول لأبي ذر: ((أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلايته، وإذا أسأت فأحسن)) [رواه أحمد برقم (20592) حسن لغيرة كما قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: برقم(3161)]؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، هذا بينك وبين الله، وبينك وبين الخلق، إذا أسأت إلى واحد أحسن إليه، اعتذار،

هدية، ((ولا تسألن أحداً شيئاً وإن سقط سوطك)) [التخريج السابق]، كان التزول عن الدابة فيه مجهود، تزل الدابة ثم يتزل هو، ثم سقط السوط على الأرض وهو على ظهر الدابة لا تقل لأحد: ناولني إياه، انزل، مع ما في التزول من المشقة والجهد؛ لئلا تسأل أحداً شيئاً، حتى لا تحتاج إلى أحد، تربي نفسك على عدم الحاجة إلى الخلق، الاستقلال عن الحاجة للخلق حرية، قال: ((ولا تقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين)) [التخريج السابق] لماذا؟؛ لأنه - رضي الله تعالى عنه- لم يكن عنده قدرة في هذا فأمره بتركه، بعض الناس لا يستطيع المحافظة على الأمانة، ليس من باب الخيانة وأنه يسرقها، لكن ليس عنده قدرة على الحراسة، الرعاية مثلاً، قد يكون عنده زهد بالغ، فيزهد في كل شيء، يكون هذا أمانة للناس، ((ولا تقض بين اثنين))؛ لأن القضاء يحتاج إلى نفسيات معينة، وأحوال وشخصيات، فربما يكون في الإنسان ما يمنع من القضاء، كورع شديد يجعله أحياناً يكلف الأطراف أكثر مما يجب، وقال -رضي الله تعالى عنه-: "أوصاني خليلي -صلى الله عليه وسلم- بسبع: ((ألا أخاف في الله لومة لائم)) [رواه أحمد برقم (20447)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (2525)]، وهذه مهمة؛ لأن اليوم ضاع كثير من الحق بسبب الخوف من المخاليق، والمخلوق ما هو؟ أوله نطفة، وآخره جيفة كائناً ما كان، ((وأن أنظر إلى من هو أسفل مني، ولا أنظر إلى من هو فوقي)) [التخريج السابق] هذا في أمور الدنيا، تحمد الله على النعمة واعرف قدرها، ((وأوصاني بحب المساكين والدينون منهم)) [التخريج السابق]؛ لأن هذا يلين القلب، ما يكون الإنسان فقط مع عليية القوم، ومع الأغنياء، إنما يكون مع المساكين، يجعل للمساكين نصيباً من وقته، مع الفقراء، هؤلاء الذين يطعمون الفقراء عند أبواب المساجد في رمضان فيهم رقة قلب، وفيهم تربية حميدة لأنفسهم، وفيهم نصيب من الأخذ بهذه الوصية، ((وأوصاني بأن أقول الحق وإن كان مرأياً)) [التخريج السابق] وإن كان على نفسك، ((وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت)) [التخريج السابق] ما يكلموني، ولا يزوروني، ولا يسألوا عني، ((وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت، وأوصاني ألا أسأل الناس شيئاً، وأوصاني أن أستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها كثر من كنوز الجنة)). رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.

فأراد النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا ضبط الموازين، وهو الذي يتابع أصحابه ويتعاهدهم، ((يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)) [رواه أبو داود برقم (1301)]، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7969)]، إن الله إذا أعان العبد على هذه الصفات استقام العبد، يقول لابن عباس: ((يا غلام)) تنبيه ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله)) يعني في أمره ونهيهِ وشرعه، احفظ الله في دينه الذي كلفك به، ((يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم، وجفت الصحف)). [رواه الترمذي برقم (2440)]، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7957)].

الدين النصيحة ومسيس حاجة الناس إليها

وهكذا تهر الوصية قلوب سامعيها، وتجعلهم متوكلين على الله، مفوضين الأمر إليه، أقوياء به، لا يحتاجون إلى الناس، يقولون الحق، النبي عليه الصلاة والسلام أراد من أصحابه أن يكونوا أحراراً أقوياء، جرأء في الحق، قوالين به، وعاملين، منصفين، وهكذا كان أصحابه عليه الصلاة والسلام يعملون بوصاياه من بعده، هذا جرير بن عبد الله البجلي قال: "بايعت النبي عليه الصلاة والسلام على النصيح لكل مسلم" [رواه البخاري برقم (55) ومسلم برقم (83)]، أنصح الخادم، والكبير والصغير، والقريب والبعيد، أنصح أي أحد، أعطيه ما فيه المصلحة له، أنصح له، وأبين له، وهكذا حتى في الأمور الدنيوية، لو أن صاحباً لك يريد أن يشتري ثلاجة، وأنت تعلم أن هذا النوع أفضل من هذا النوع ((الدين النصيحة)) [رواه مسلم برقم (82)] تقتضي أن تبين له ذلك، الغش اليوم كثير، والسلع كثيرة، الناس يحتاجون إلى أشياء في البناء، أي واحد يبني بيتاً يحتاج إلى نصائح، الزواج يا أخي، أي واحد يريد أن يقدم على الزواج يحتاج إلى نصائح، يحتاج حاجة ماسّة، ليست قضية شكلية أو هامشية، حاجة ماسّة، من الذي تقدّم إليه ونصحه؟.

إن بعض النصائح يا عباد الله لو حصلت لسعد الزوجان، ولفقدان التناصح والتواصي تفشل كثير من الزوجات؛ لأنه لم يكن يوجد من ينصح، ويبين أشياء كانت لو تبينت وفي بسببها الطرفان شراً كثيراً. اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، اصطفاه الله وأرسله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلى الله عليه وعلى آله وذريته الطيبين وزوجاته وخلفائه الميامين، أشهد أنه رسول الله حقاً، والداعي إلى سبيله صدقاً، صلى الله عليه وعلى أصحابه أجمعين إلى يوم الدين.

من وصايا السلف لبعضهم

عباد الله

الناس في الفتنة يحتاجون إلى وصية، والفتن أنواع، ولما هاجت فتنة بالكوفة اجتمع قراؤها؛ ليكتبوا كتاباً، فدعوا حافظ أهل الكوفة سليمان بن مهران الأعمش، فتكلم بثلاث كلمات، فاستغنوا بهن عن الكتاب،—وكانت مقتلة تحصل بين المسلمين— قال لهم: "رحم الله امرأ ملك لسانه، وكف يده، وعالج ما في صدره". انتهت.

كتب إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه: "عليك بتقوى الله الذي لا تحل معصيته، ولا يرجي غيره، واتق الله، فإن من اتقى الله عز وقوي، وشبع وروي، ورفع عقله عن الدنيا".

وهكذا كانت الوصايا فيما بينهم بأمور الأخلاق، والآداب، والسلوك.

وكان بعضهم يقول لبعض: يا أخي إنما دينك لحمك ودمك، ابك على نفسك وارحمها، وليكن جليساك من يزهديك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، وأكثر ذكر الموت، واستغفر مما قد سلف من ذنوبك، وأسأل الله السلامة لما بقي من عمرك، وإياك أن تخون مؤمناً، فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله، وإذا أحببت أخاك في الله فابذل له نفسك ومالك، وعليك بالصبر في المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى الجنة، وإياك والحدة والغضب فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله، وابغض الفاسقين تطرد الشياطين، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وأحسن سريرتك يحسن الله علائقتك، وابك على خطيئتك تكن من أهل الرفيق الأعلى، وعليك بالتؤدة، وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمّر إليها وأسرع".

قالت أعرابية توصي ولدها المسافر -وما أحوجنا لبعض الوصايا للمبتعثين-، أوصت أعرابية ولدها الذي خرج مسافراً: "أي بني اجلس أمتحك وصيبي، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير من عقلك، إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك. الإنسان يمسك دينه لا يفرط منه بشيء، وأما المال يبذله. واعلم أن المرء لا يرى عيب نفسه، فما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، والغدر أقبح ما تعامل به الناس، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة".

ماذا يحتاج المبتعثون اليوم من الوصايا؟ لا بد أن نفكر جوانب الوصايا التي يحتاجها الناس في المجتمع، هناك متزوجون يحتاجون إلى وصايا، مسافرون يحتاجون إلى وصايا، واحد سينتقل من سلك الدراسة إلى سلك الوظيفة يحتاج إلى وصايا، حتى الإنسان وهو يغالب أموراً كثيرة من المعاناة صارت له مصيبة، مرض، يحتاج إلى وصايا، قضية الوصية هذه لا بد أن تكون حاضرة، وفكر ماذا ينفعل؟ ربما يثبت هذا المبتعث أو المسافر عن الحرام، وما أكثره في الأماكن التي يسافر إليها، كلمة قالتها له أمه قبل أن يترك ويغادر، إلا الحرام، إلا الفاحشة، إلا المرأة بالحرام، انتبه، إياك، فتكون هذه الكلمات على بساطتها وقتتها هي العاصم بعد الله من الوقوع في الموبقات. من وصايا السلف لبعضهم الإخلاص، وتصحيح النية، وهذا كثير؛ لأن النية تشوبها شوائب، الوصية مثلاً بتعلم علوم الشريعة، وما أحوج الناس إليها.

يقول علي بن أبي طالب للكميل بن زياد: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يجرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، يزيد العلم إذا عملت به، والمال تنقصه النفقة، يا كميل، محبة العالم دين يدان به، العلم يكسب العالم الطاعة لربه، وجميل الأحداث بعد وفاته -سيرته حسنة تبقى بين الناس-، وصنيعة المال تزول بزواله، والعلم حاكم -العلم يحكم في المال، في الموارث مثلاً، الوصايا، لكن المال ما يحكم في العلم-، يا كميل، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، بسيرتهم ومؤلفاتهم باقون.

كان من الوصايا الوصية بحفظ الوقت، لا تكن مضيعاً أنفاساً معدودة، وأعماراً محسوبة؛ لأن قضية حفظ الوقت هذه محافظة على رأس المال، الوصية بالتمسك بالسنة، واجتناب البدع، الوصية عند فساد الزمان، بماذا يستمسك به الإخوان ويعتصمون؟.

وكذلك من الوصايا الجميلة ما حدث بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، كانا متآخيين في المدينة، آخى بينهم النبي عليه الصلاة والسلام. في الفتوحات سكن أبو الدرداء الشام يعلم الناس، وسكن سلمان الكوفة يعلم الناس، كتب أبو الدرداء إلى سلمان: سلام عليك أما بعد: فإن الله رزقني بعدك مالا وولداً، ونزلت الأرض المقدسة، فهلهم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدر أحداً، وإنما يقدر الإنسان عمله، واعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك، وأن ينفعك علمك، اعمل كأنك ترى، واعدد نفسك في الموتى.

نظراً لكثرة الفتن الآن، ففتنة الشهوات، وفتنة النساء، الناس يحتاجون إلى وصايا بهذا، الرجال يحتاجون إلى وصايا، والنساء يحتاجن إلى وصايا.

ولذلك أوصى عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران فقال له: "إني أوصيك بوصية فاحفظها: إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أنك تعلمها القرآن"، لا تخلو بامرأة وإن كنت تعلمها القرآن.

الوصية قد تغير مسار الحياة ونماذج من ذلك

أحياناً تكون الوصية مما يجعل الإنسان حراً في مواقفه، هذا عبد الحميد بن باديس -عالم الجزائر في وقته-، قال: وإني لأذكر للشيخ حمدان لونيبي وصية أوصاني بها، وعهداً عهد به إلي، أذكر أثره على نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجد نفسي مديناً لهذا الرجل إداة بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد علي: ألا أقرب الوظيفة، ولا أرضاها ما حبيت، ولا أتخذ علمي مطية لها، هذا مهم بالنسبة للعلماء في حرية صدعهم بالحق، وقال: وأذكر للشيخ محمد النخلي كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العملية عن تلك الوصية، كنت متبرماً من أساليب بعض الكتاب أو المصنفين في التأويلات الجدلية والفلسفية، فقال: اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح، قال: فنفعتني هذه الوصية.

وهكذا عماد الدين الواسطي كثرت عليه قضية علم الكلام والفلسفة، فلقي شيخ الإسلام ابن تيمية فأوصاه بوصية قال: عليك بقراءة السنة النبوية، فإنها الوصفة الكافية الشافية.

محمد بن عوف -أبوه عالم- لكن الابن لاعب كرة وهو صغير، فالكرة سقطت في المسجد بالقرب من المعافا بن عمران، قال: فدخلت لآخذها فقال: ابن من أنت؟ قلت: ابن عوف بن سفيان، قال: إن أباك كان من إخواننا، ويكتب معنا الحديث والعلم، والذي يشبهك أن تتبع ما كان عليه أبوك، قال: فصرت إلى أمي فأخبرتها، قالت: صدق، هو صديق لأبيك، فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم بعثني إليه، فصار يطلب عنده العلم.

جملة واحدة تغير المسار يا عباد الله، ولا بد من الوصية بالزهد في الدنيا.

ولو تبصر الدنيا وراء ستورها	رأيت خيلاً في منام سيصم
كحلم بطيف زار في النوم وانقضى	المنام وراح الطيف والصب مغرم
وظل أته الشمس عند طلوعها	س يقلص في وقت الزوال ويفصم
ومزنة صيف طاب منها مقلها	فولت سريعاً والحرور تضرم

ومطعم ضيف لذنمه مساعه
وبعد قليل حاله تلك تعلم
يعني الطعام بالهضم ماذا يؤول إليه.

كذا هذه الدنيا كأحلام نائم
ومن بعدها دار البقاء ستقدم
فجزها ممراً لا مقراً وكن بها
غريباً تعيش فيها حميداً وتسلم
أو ابن سبيل قال - نام القيلولة - في ظل دوحه
وراح وخلا ظلها يتقسم
فيا عجباً كم مصرع وعظت به
بنيها ولكن عن مصارعها عموا

يموت الأموات ويذهبون واتعاط قليل، كما أن هنالك وصايا طيبة، هنالك وصايا ضارة ومحرمه، {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ
آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح:23]، قال الله عن المشركين: {كَذَلِكَ مَا أَتَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ} [الذاريات:52-53] عهد بعضهم إلى بعض به.
وهكذا يوصي أولهم آخرهم بالشر والكفران، وهكذا تجد اليوم أهل الشر والفساد يوصي بعضهم إلى بعض
باستمرار المسيرة، أي مسيرة!؟

اللهم إنا نسألك الثبات حتى الممات، اللهم إنا نسألك الأمن في البلاد، والنجاة يوم المعاد، يا رب العباد اشرح
صدورنا للحق، وقونا عزائمتنا، أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا.
اللهم إنا نسألك الهدى والرشاد، يا أرحم الراحمين، نسألك عيشة سوية، وميته طيبة نقيه.
اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات.

نسألك الأمن في الأوطان والدور، وأن تصلح الأئمة وولاة الأمور، يا عزيز يا غفور، لا تفرق جمعنا هذا إلا
بذنوب مغفور، وعمل مبرور. يا أرحم الراحمين.

أخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، واجعل الجنة مثوانا، وقنا عذاب النار.

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: من الآية74]، سبحان ربك رب العزة
عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.